

## ونسألني عن بلدي

### بقلم الأستاذ / فرنسيس داغر

بلدي واحة في صحراء، منارة على شاطئ، خال على خد فتاة، نور في سراج، جبل يطال السحاب، وشجر زرعه الرب هناك على القمم فعُرف باسمه. بلدي جبل اللبان يُدعى، منه استقى الأقدمون عنفوانهم، وبجبروته استطاعوا قهر الغزاة، فبقيت هامته أبداً بتولاً لم تدنسها أيدي الأذلاء، أو تدنسها أقدام المتغطرسين الطغاة. أنظار العالم كلّها تتجه نحو تلك الواحة المشرقيّة. كلّ يودّ فيها مرقد عنزة، أو نبعاً سلسبيلاً، أو نسمة طريئة العود بين أجنحتها أريج البخور وأزليّة السنديان.

فتاة ساحرة هي بلدي، كلّ ما فيها فتان يأخذ بالألباب، وأجمل ما فيها ذاك الخال على خدها، يجذبك إليها، يشدك ولا ينفع العناد، فتقع في شرك حبها حتى العبادة. بيروت عاصمة بلدي هي ذاك الخال، هي تلك المنارة القائمة على الشاطئ العتيق تدحر ظلمات الليل وتُهدي الضالّين إلى ميناء السلام وتقول: ههنا نبت الحقّ، وعلمناه الأمم، ومن ههنا تفجّرت ينابيع السلام، ومن شاطئ بيبيلوس أقتحم المغامر الأول البحار وعلم البشرية مبادئ المعرفة والمغامرة.

تاريخ بلدي قديم يغور في أعماق الماضي البعيد ولّما تزل جذوره متشبّثة بالصخور الرابضة إلى جانب تلك الأودية السحيقة الأغوار ولن تقوى الرياح والأعاصير، مهما عنت على تقويض دعائم مجده وأزليّته إذ لا خوف على من بنى بيته على الصخور من جرف السيول. هذا بلدي: نور وعنفوان، حقيقة وإيمان، وحب وسلام، وحرف وإنسان.

وتسألني من أين أنت؟ سلّ مدينة الآلهة بيبيلوس، ومدينة الشمس بعباك،  
ومدينة الحقوق بيروت. سلّ أحفاد صيدون الذين عصوا أساطين الغزاة  
الطامعين ولقنّوهم درساً في المواطنة الصحيحة والمقاومة العنيدة حتى  
الشهادة غرقاً أو حرقاً. سلّ أحفاد أحيرام عن شاطئ صور المخضّب  
بدماء أبنائها الأبرار الذين زادوا عن أسوار مدينتهم وكرامتها ضدّ طغيان  
الفاحين ذاك هو بلدي! ولن أنساه، ومن كان له لبنان هل له أن ينساه؟

فيا وطني! يا من كنت مسرحاً لمهرجانات الطبيعة والإنسان، ومهداً  
لأنبياء الله، وديراً لقدّيسيه وللدعوات السماوية، ومثدنة تدعو إلى الصلاح  
والفلاح، ومنارة لدروب الفقه واللاهوت ومحفلاً لتفاعل الديانات في سبيل  
الخير والسلام، ونموذجاً حياً لتعايش الطوائف والمذاهب ومجمعاً لصهر  
الحضارات والثقافات، وملجأً آمناً للمضطهدين، وببرقاً مرتفعاً للحرية  
الشخصية والاطمئنان، ومنبعاً غزيراً للرجال والأدباء والفلاسفة، ومكتبة  
غنيّة للشرق وأهل الشرق، وسوقاً للتجارة الحرّة والاقتصاد.

أنت يا وطني هذا، لن أبكيك ولن أرثيك، فلن نكون أقلّ مواطنة أو أقل  
أمانة على بلدنا واستقلاله من آبائنا وأجدادنا الذين خطّوا بدمائهم الزكيبة  
تاريخنا القديم. فقد تقوم قيامتك وتبعث حياً من تحت الرماد أقوى وأكبر.  
وأبناؤك البررة الذين ما زالوا يؤمنون بك ووطن الحرية والإنسان،  
يخطّون اليوم تاريخنا الحديث، وسينفضون عنك غبار الرحى ويبنون  
بسواعدهم من جديد ما هدمته لعبة الأمم ودمّرتة آلات نيرانه العدوّة. ولن  
يطول الوقت لتعود كما طير الفينيقي، وستكتب الحياة للأوطان الأزلية  
وشعوبها المؤمنين بها. وستعود "أيام السندس والديباج والفالوذ  
والسكباج" ويعود شعب بلادي كتلة من نار ونور، تحرق المعتدين وتثير  
لطالبى الحرية والسلام كلّ سبيل.